أ.د. الشيخ محمدمهدي التسخيري
مستشار الأمين العام للمجمع العالمي
للتقريب بين المذاهب الإسلامية

دراسات ومقالات

التحديات التي تواجه مشروع التقريب

نحن في زمن تسعى الأمة الإسلامية فيه لاستعادة هويتها المنسية في كثير من البلاد الإسلامية، ولايمكن لها ان تتغافل صعوبة تحقيق الهدف المبتغى في ظل الظروف السياسية والثقافية والاقتصادية الحاكمة في عالمنا المعاصر.

قد يكون واضحاً للجميع بأن الانطلاق والوصول الى الاهداف المرسومة في كل حركة تغييرية يواجه تحديات تتناسب مع حجم وعظمة الانطلاقة التغييرية واستدامتها.

صحيح ان التحديات التي امامنا تنذر بخطورة كبيرة تدلل على عجز المجتمع الإسلامي لمواجهتها، لكن الوضع العام يدلنا على دروب مضيئة تسهل لنا التغلب على الموانع الحقيقية والوهمية التي تقف حجر عثرة في طريق الانتصار، فالصحوة الإسلامية في البلاد الإسلامية ونمو الحركة العقلانية والدينية واستعادة روح الحضارة الإسلامية في اوساط مجتمعنا، أو ميل عامة البشرية نحو الدين والاخلاق والامور الروحية بعد شعورهم بسلبيات عواقب الابتعاد عن القيم الإنسانية، والشعور بضرورة الوحدة فيما بين أبناء الأمة الإسلامية على مختلف المستويات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ...

سواء على مستوى الشعوب أو الدول ،و مقاومة الغزو الفكري والثقافي المتنامي بمعية الغزو العسكري ضد البلاد الإسلامية خاصة في العقود الأخيرة وتحت ذرائع إنسانية وقيمية كحقوق الإنسان، والديمقراطية وحرية التعبير والدفاع عن حقوق المرأة، وسهولة وصول المعلومات الى كافة أبناء الأمة الإسلامية باستخدام احدث الوسائل المتداولة في المجتمع البشري، كل هذه الامور وغيرها تشير الى ايجابية التحرك في المجالات الدعوية من اجل انقاذ الإنسان المسلم من الغزوات الفكرية والإعلامية وماشابههما .

ان مسيرة التقريب بين المذاهب الإسلامية في الجانب الفكري واتخاذ المواقف الوحدوية في الجانب العملي تعد من ضروريات حياة امتنا الإسلامية وبدونها قد لاتقوم لها قائمة في أي مجال من مجالات الحياة فكيف الحال بآخرتها وهو أساس ركين في مثلث « التوحيد والنبوة والمعاد» في المسائل العقدية . لسنا بصدد بيان ضرورة الوحدة الإسلامية وأهميتها ودورها في مسيرة التنمية والتطور المعنوي والمادّي والآثار السلبية للفرقة والتشرذم لأن الآيات والبراهين الدالة عليها تصل إلى مرحلة اخراج غير الملتزمين بها من سنة رسول الله :

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[١] . بل وقد يتخطى الأمر إلى حدّ الشرك ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[٢] .

ودلالة العقل والعرف على أهمية وضرورة الاجتماع والاتحاد لا يختلف فيه اثنان، فهذه الشعوب والدول تسعى إلى اقامة اتحادات متنوعة في الجانب السياسي والاقتصادي والأمني و... بدءاً من منظمة الأمم المتحدة إلى الاتحادات العمالية والحرفية حتى على مستوى القرى والأرياف.

التقريب تشييد الوحدة العملية للأمة :

إن تباين الآراء وتنوع الأفكار هو حالة صحية وطبيعية ذات جذور إسلامية

وعقلية ولولاها لما تعدّدت المذاهب واستقامت المسالك وتطورت الحضارة الإسلامية على مدى العصور وهذه الحالة تستند إلى حقائق طبيعية وإنسانية وإسلامية لايمكن التغافل عنها، منها:

ـ اختلاف البشرية في الخلق والفكر والبيئة العلمية والامكانات المتاحة و.... وكل إنسان له شخصية مستقلة ومختلفة عن الآخر وهكذا كل مجتمع، ويُعد هذا التنوع والاختلاف امراً ايجابياً مساعداً على تطور ونمو الحضارات والثقافات والاثراء المادّي والمعنوي للبشرية والى هذا تشير الآيات القرآنية العديدة ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[٣].

ـ والحقيقة الثانية هي مشروعية الاجتهاد في الأحكام الإسلامية . لكونه ناتجاً عن فكر بشري وان كان يستند إلى الكتاب والسنة .

ـ الحقيقة الثالثة: إن خاتمية الرسالة المحمدية تقتضي إعمال الاجتهاد في استنباط الأحكام ونظراً لتعدد الفقهاء والمشارب والمذاهب وقدرة الاستنباط وفقاً لمبادئ الافتاء وضوابطها يتوصل الفقهاء إلى آراء مختلفة مستَنَدة إلى الكتاب والسنة، لذا فلا يجوز اتهام الآخر بالبدعة في أمور مستنبطة من أدلة محكمة مقبولة لدى مذهبه، وفي الواقع هي نتيجة نسبية الاجتهادات الفقهية على مدى التاريخ ومواكبة المتغيرات الزمانية والمكانية، ولم يدّع احدٌ من أئمة المذاهب على أنه الحق المطلق بل اعتبروا من يجتهد قد يخطئ، وكما قال الشافعي : « رأينا صواب يحتمل الخطأ ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب» وعلى هذا الأساس نشأت المذاهب الفقهية عند السنة والشيعة.

حقيقة التقريب:

وكل هذه المذاهب تتفق في الثوابت والمبادئ الإسلامية الاصيلة وان اختلفت في الاجتهادات الفرعية من الأحكام.لابد من الإشارة إلى ان حقيقة التقريب هي الاتفاق العملي على المشتركات فيما بين المذاهب الإسلامية والسعي إلى توسعة دائرة الاشتراك واعذار بعضنا الآخر فيما اختلفنا فيه، وليس كما يدعي البعض بأن التقريب نوع من

تغليب مذهب على آخر أو تلفيق من مذهبين أو أكثر أو تذويب مذهب في مذهب آخر أو دمج مذهب في آخر وتقديم مذهب جديد. فالتقريب ليس تغليباً ولا تذويباً ولا تلفيقاً ولا دمجاً، بل اتفاق على المشتركات المقبولة، وهدفه الأساس هو التقارب والتآلف والتعاون ونبذ التباعد والتناحر والتدابر.

و تحقيق هذه الامنية الشريفة والتي هي روح الحياة الإسلامية،-و كما قال بعض العلماء بأن الإسلام مختصر في كلمتين «كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة »[٤]- وترسيخها في المجتمع الإسلامي وتحويلها إلى ثقافة عامة لتشمل أبناء الأمة الإسلامية كافة بمختلف عناصرها وأصنافها، بحاجة إلى التغلب على تحديات طالما وقفت امام الحركة التقريبية في الماضي والحاضر، وقد تطرق الكثير إلى هذه التحديات في العصور السالفة، واليوم قد تجلت بلباس يختلف عن ما كان عليه سالفاً ونحن نشير إلى أهم هذه التحديات:

١. ازدياد الهجمة الثقافية والإعلامية الغربية ضد المجتمع الإسلامي.
٢. ضعف المنظمات والحركات الإسلامية.
٣. نفوذ الصهاينة في مراكز القرار العالمي.
٤. عدم توافق انظمة الدول الإسلامية.
٥. خلق عداوات وهمية في اوساط الأمة الإسلامية.
٦. اصطفاف الغرب السياسي امام التنمية الإسلامية وانحصار تكنولوجيا العلوم الحديثة بيده.
٧. نسيان القضية الفلسطينية وفرض الدولة اليهودية.
٨. فرض العولمة الاميركية خارج دائرة الإعلام.
٩. احياء النعرات الطائفية.
١٠. الدعوة إلى حروب صليبية معاصرة .
١١. استغلال القيم الإنسانية وتحريف المفاهيم.
١٢. ضعف التخطيط وعدم رسم الاستراتيجيات المؤثرة .

١٣. فتح المجال امام الفتاوى اللامسؤولة.
١٤. إيجاد الأرضية المناسبة للتكفيريين وظاهرة التكفير .
١٥. خطر العلمانية المعاصرة.
١٦. كثرة التمسك بحوادث تاريخيّة غير دقيقة.
١٧. التطرف والجمود والمتطرفون هم الواجهة للعالم الإسلامي .
١٨. عدم تربية الكوادر الإسلامية المناسبة للمرحلة الراهنة.
١٩. ضعف الإعلام الإسلامي في تبيين أولويات الدين.
٢٠. تغييب دور المرأة المسلمة في أكثر الدول الإسلامية.
٢١. عدم تبيين المقاومة العادلة واستغلال الإرهابيين.
٢٢. ضعف التواصل فيما بين الجاليات الإسلامية في الغرب والعالم الإسلامي.
٢٣. عدم احترام حقوق الإنسان المسلم في البلاد الإسلامية .

إن تحديات الأمة الإسلامية تتغير وفقاً للوضع العام والمناطق الجغرافية والإقليمية، وأيضاً تتناسب مع الوضع الثقافي السائد، وقد يختلف وضعها من حيث الشدة والضعف في التأثير، فهي خارجية وداخلية وفي قوالب عقدية وسياسية واقتصادية واعلامية ... وسوف نتطرق إلى بعض التحديات في هذا المقال للاختصار:

أولاً: ارتفاع وتيرة الهجمة الغربية ضد الإسلام:

لانود الحديث عن حروب صليبية بطابع ديني شنها الغرب في جميع جولاته المتكررة ضد المجتمع الإسلامي تحت عناوين مقدسة كتخليص مهد المسيح من ايدي المسلمين، وقد خسر الصليبيون جميع الجولات مع كل ما ارتكبوه من مجازر خلال أكثر من قرنين على ارض المسلمين باعتراف حتى قياداتهم الروحية كما يقول« واجيل» : حدث ما هو عجيب عند ما استولى قومنا على اسوار القدس وبروجها، فقطعت رؤوس بعضهم، فكان أقل ما اصابهم، وبقرت بطون بعضهم، فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الاسوار، وحرق بعضهم في النار، فكان ذلك عذاب طويل وكان لا يرى في

شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم ،فلا يمر المرء الا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما قالوه».[٥]

وهناك روايات تاريخية تدلل على بشاعة ووحشية التعامل الاجرامي الذي قامت به الجيوش الصليبية بدوافع دينية واستعمارية وبتوافق كنسي ورئاسي آنذاك من اجل الوصول إلى ثروة المسلمين ودفن حضارتهم ومحو معتقداتهم وإبادة عمارتهم والتربع على عرش الحكم في العالم كله وحذف الآخر وبقائهم، بعد كل التجارب العنيفة واستمرارية الفشل توصل أصحاب السلطة في الغرب السياسي إلى عدم القدرة على إلغاء قوة المسلمين بالقتل والهدم والحرق والتدمير مادام القرآن في اوساطهم، وما دامت جذور الحضارة الإسلامية الأولى تمتد اليهم فكان لابد من استخدام طريقة أخرى لاركاع المسلمين وإخضاعهم .

وقد تغير أسلوب الغرب في مواجهة الإسلام والمسلمين خاصة في القرون الثلاثة الأخيرة لضرب المجتمع الإسلامي وذلك بالتشكيك في التراث والثقافة والحضارة والتاريخ الإسلامي والقرآن الكريم من اجل ابعاد اجيال الأمة الإسلامية عن إسلامهم وعن واقع تأريخهم وكان لكثير من المستشرقين الدور الكبير في هذا المجال، فقد اصبحت كتبهم مصادر لعلمائنا في الآونة الأخيرة يستند اليها على صحة أو عدم صحة تراثنا الإسلامي، وقد أثرت على عقول شخصيات كبيرة في المجتمع الإسلامي كان لها دور كبير في اضعاف البيئة الفكرية الإسلامية، وقد ابتعدت هذه الشخصيات وابعدت الشباب أيضا عن مناهل الحكمة والعلم والمعرفة الاصيلة المستوحاة من ينبوع الوحي والرسالة النبوية، وأسسوا لافكار وارتبطوا بثقافةٍ صاغها الغرب السياسي وثبتها مفكرون تعلموا على ايدي هؤلاء، وصارت من الثوابت التي لا يمكن التخلي عنها لدى الاجيال الأخيرة وابعدتهم كل البعد عن هويتهم الإسلامية حتى ضيّعت الشعوب هويتها ونسيت رسالتها المقدسة.

واما ما قام به الإعلام الغربي في القرن الأخير من تزييف واتهام وتحريف على لسان القادة الروحيين تارة[٦] والسياسيين أخرى[٧] ومثقفيهم حيناً آخر فحدّث ولا حرج،

هناك عشرات بل مئات الكتب التي تتحدث عن إسناد مرجعيّة التخلف إلى الفكر الإسلامي ودور العنف في انتشار الإسلام والتناقضات الفكرية في المنهج الإسلامي وعدم صلاحية هذا الدين لهذه العصور، وكل هذا تم بعد معرفة انه لا يمكن التغلب على الإسلام الحاكم على العقول والنافذ إلى قلوب المسلمين، بالقوة والأسلحة الفتاكة بمختلف نوعياتها القديمة الكلاسيكية والحديثة أو الكيماوية والنووية وما شابهها .

جرّب الغرب طيلة القرون الأخيرة «الألفية الثانية» الأسلوبين: الهجوم العسكري والهجوم الفكري ولم يصل إلى نتيجة تحقق له جميع أمانيه، وان كان قد توصل إلى كثير مما يبتغيه لكنه لم يوفق في سحق المسلمين وتغيير هويتهم تماماً أو إطفاء نور الإسلام ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٨] وتثبيت نظرية واهية تشير إلى نهاية التاريخ وحاكمية الفكر الليبرالي بعد صراع دام قروناً بين الحضارات حسب زعمهم.

فإن الغرب السياسي اليوم يتحرك باستخدام الأسلوبين (العسكري والفكري) معاً لضرب المجتمع الإسلامي من جهة وهو ما نشاهده اليوم من هجوم عسكري ضد البلدان الإسلامية كالعراق وأفغانستان وباكستان وفلسطين.... تحت ذرائع مختلفة وقتل الآلاف من الأبرياء والعزّل وتهجير الملايين ونهب الثروات النفطية والطبيعية والسيطرة على مقدرات الشعوب الإسلامية من خلال حكام عجزة فاقدي الإرادة والغيرة على شعوبهم وتطويق قيد التبعية عليهم وشدّه يوماً بعد يوم.

و من جهة أخرى يستخدم « الغزو الفكري»، لا التبادل الحضاري الذي هو الأمر الإنساني والطبيعي، بتخويف العالم من الإسلام – إسلام فوبيا – خاصة بعد نفوذ نداء القرآن إلى قلوب كثير من أبناء الغرب والذين هم من أبناء البشر ويحملون الفطرة الإنسانية في ذاتهم لو سُمح لهم ورُفع الغبار عن الواقع الموجود لرأيتهم يدخلون في دين الله افواجاً، لكن الغرب السياسي استطاع بتأسيس مجموعات واحزاب وحكومات تحمل عنوان الإسلام وهو منها بُراء ودعمه لها ان يصور للعالم بأن هؤلاء ينتمون إلى الإسلام وما يصدر عنهم فهو عمل إسلامي ونتيجة طبيعية للفكر الإسلامي ويؤكد

للعالم بأن حصيلة هذا الإسلام هو حكومات استبدادية لا ترحم شعوبها ولا تحترمها وهي عاجزة عن ادارة البيوت الملكية والرئاسية فكيف بإدارة شعوب وبلدان كبيرة أو صغيرة، وهي غير قادرة في السعي نحو التطور العلمي والتكنولوجي والاقتصادي ولم تعرف ما معنى التنمية.

فهل يمكن الحديث عن التنمية والحرية والسيادة في مثل هذه البلدان، وقيام الغرب السياسي بتثبيط العزائم عندما يقول: ان الإسلام الذي يتحدّث عنه المسلمون هو ماترونه من مجاميع إرهابية تتلذذ بسفك الدماء ودمار العمارة والاعمال الوحشية أو انه احزاب سلفية الفكر لا العقيدة، بعيدة كل البعد عن الواقع الإنساني وليس لديها مشروع حضاري ونهضوي قادر على الإجابة والاستجابة لمسائل العصر ومتطلباتها، ولا تحمل أي رؤية مستقبلية واستشرافية للحكم في شؤونه المتشعبة، سياسياً، اقتصادياً، علمياً، فنيّاًو...؟

لكن الحقيقة هي أن هؤلاء الذين زرعهم الغرب السياسي هم حصيلة الفكر الصليبي السابق باسم الإسلام، وقد ذكرنا بعض جرائم الصليبيين المرتكبة على الساحة الإسلامية . والغرب السياسي يعرف جيداً ان الإسلام الحقيقي هو دين السلام والمحبة والأخوة والعمار ويرى بوضوح وجود الكنائس والصوامع في البلدان الإسلامية منذ بزوغ شمس الإسلام والتعايش السلمي فيما بين أبناء الديانات المختلفة في البلاد، فهو غير راغب بإظهار هذه الحالة بل يسعى إلى تجاهلها وتشويه صورتها بشتى الأساليب.(٩)

الإسلام هو دين الحرية والأمن والتكافل والتعاون، ودين الفطرة الإنسانية والبرهان ما جاءت به الآيات القرآنية الواضحة :

- ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١٠)

-﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾(١١)

ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا، وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا﴾(١٢)

ـ ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾(١٣)

ـ ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(١٤)

ـ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَو أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾(١٥)

ثانياً: ضعف أنظمة الدول الإسلامية:

من الأمور التي باتت واضحة للجميع ولا نحتاج إلى الكثير في طريق الاستدلال على وقوعها وصحتها هي ضعف الأنظمة الإسلامية المعاصرة، خلافاً لما كانت عليه الدول الإسلامية العظمى في القرون السالفة من امتلاكها للقوة الكافية في شتى مجالات الحياة، فقد تحولت تلك الدولة بمعناها الشامل إلى دويلات لا تمتلك اتخاذ قراراتها المصيرية أو بالأحرى لا يسمح لها ان تُعمل سيادتها في حدودها الجغرافية المرسومة لها، نعم تنفذ السيادة في حق الشعوب ـ التي من حقها ان تكون لها السيادة ـ وذلك خدمة لاطماع القوى الاستكبارية والتي تطالب دائماً بالمزيد من نهب الثروات بأساليب متنوعة، فتارة، بشراء المنتجات الطبيعية كالنفط والغاز والمعادن و..... بأسعار زهيدة لاتساوي سعرالجهود المبذول على استخراجها وأخرى بفرض قوانين تقضي بشراء المنتوجات الاستهلاكية من الغرب بأسعار باهضة وعلى كل حال يدر الدخل في جيوب القوى العظمى وكلما امتلأت المخازن من السلع الزائدة عن الاحتياج والأسلحة الفاقدة المفعول في الغرب وأفلست الشركات العاطلة عن العمل أو الملاعب والنوادي الرياضية والبنوك المواجهة للافلاس جاء دور الدويلات الإسلامية!! لإنقاذ السلطة السياسية

الحاكمة في الغرب من الغرق ودفع آلاف المليارات من الدولارات وكلها على حساب شعوبها خدمة للأسياد لا السيادة، والشواهد على ما نقول كثيرة يكفيك ان تراجع آخر قوائم شراء الأسلحة في العقد الأخير وابتياع السلع من الشركات الخاسرة وبناء الملاعب الرياضية في الغرب وشراء النوادي الفاشلة ودعم البنوك المفلسة لتكشف الظلم والاضطهاد المستشري في اوساط مجتمعاتنا الإسلامية على ايدي حكامها وذلك نتيجة ضعفهم امام القوى الكبرى.

واما اسباب الضعف معروفة منها:

١- عدم الركون إلى قدرة شعوبهم واقتباس القوة من الاسياد بدلاً من الاستناد إلى شعوبهم في فرض السيادة.

٢- روح الهزيمة الحاكمة؛ في عقول وقلوب قادة هذه الدول خوفاً من القوى الاستكبارية وافتراض عدم امكانية نهوض شعوب الدول الإسلامية وقدرتها على مقاومة الواقع المفروض والتكنولوجية المعاصرة لذا على الشعوب اتباع الغرب في جميع شؤونها ودفع الضرائب للغرب لتبقى على قيد الحياة.

٣- تقديم البلاد؛ كأرضية خصبة للتجارب المتنوعة والمتعددة للشركات الغربية والمؤسسات الاقتصادية التابعة لها لتكون البلدان الإسلامية مسرحاً لنجاح أو عدم نجاح التجارب المذكورة وعلى مختلف الاصعدة العسكرية والاقتصادية والبيولوجية والإعلامية، ونتيجة هذه التجارب سيكون الجانب الايجابي فيها لصالح الغرب والسلبي على حساب شعوبنا .

٤- عدم احترام آراء الشعوب؛ والاستبداد في كثير من البلاد الإسلامية يفسح المجال امام الإنسان المسلم ليتخذ الغرب مأوى له وذلك لأن طبع الإنسان وفطرته تدعوه إلى الحرية[١٦] والكرامة[١٧] والسيادة[١٨] وعندما يفتقد هذه القيم الفطرية في وطنه سوف يبحث عنها في أي مكان يجدها، وهذا هو امر فطري ومأمور به وفقاً للتعاليم السماوية[١٩] ونظراً لاحترام الغرب لهذه القيم الانسانية بالنسبة لمواطنيه، يتّجه المسلم الحر بشكل طبيعي نحو الغرب ليكون مواطناً بالتبعية ويستخدم كل طاقاته لينال الهدف

الإنساني الأسمى ألا وهو الكرامة والتفوق العلمي والاقتصادي و...، فالإنسان المسلم ينتهج هذه المسيرة، غافلاً عن مصيره كان مخيّراً ام مجبراً، قد يغفل بأن الغرب السياسي هو الذي سلط ودعم هذه الانظمة بكل مايملك من قوة لتفرض عليه كل المتاعب والمصائب والمهانة السالفة الذكر، ان الأنظمة الغربية عموماً تؤمن بالعدالة لكن على مقاسها ولصالح شعوبها ومن تبعها، دون الآخرين. وقد يغفل ايضاً بأن الهروب إلى هذه الأنظمة وان كان ملبيّاً لرغباته الفطرية على نحو محدود لكن نتاجاته تصب كلها في خدمة من سبّب بتهجيره من وطنه وأكثر عذاباته، وخاصة فإن الاجيال التي تأتي من بعده قد لايشدها ولايربطها شيء بالوطن الأم وقد تغيب العلقة به تماما، ولكن هناك من يعرف كل هذه الامور ويرى نفسه مضطراً على انتحال هذا الطريق للتخلص من الأسوأ إلى السيّئ وانتظار الفرصة المناسبة ليعود بكل قواه لخدمة شعبه وارضه وأبناء جلدته .

٥- فقدان التنمية، على المستوى العام والخاص فانه غير مسموح ان تتخطى هذه الانظمة الاطر المعنية والحدود المرسومة لها وعليها تطوير سبل الاستهلاك في طول مشروع القوى الاقتصادية والسياسية والعسكرية والاّ سوف تعاقب بمختلف الطرق المتاحة قانونياً أو بشكل غير قانوني وهناك أمثلة عديدة يمكن الاستناد اليها، وسوف نتطرق الى نموذج واحد منها.

الاستعمار الطاقوي الحديث:

كل العالم يعرف أن الطاقات الجوفية والمعادن لها زمن محدود ولابد من انتهائها فإن الذهب الأسود «النفط» الذي هو عنصر اعتزاز لكثير من الدول العربية وبالاعتماد عليه فهي قادرة على الاستمرار في حياتها وأي خلل في عدم شرائه ونقصان أسعاره أو فقدانه سوف يؤثر على أجيال هذه الشعوب وان كان التأثير على العوائل الحاكمة في الدول العربية غير مكشوف فعلاً.

لكن عند انتهاء هذه المعادن والطاقات ماهو مصير الشعوب القاطنة في هذه البلدان؟!

هل لديها مشاريع سياحية ضخمة تدرّ عليها عشرات المليارات من الدولارات ام لديها مشاريع اقتصادية جبارة نابعة من تأسيس الشركات المنتجة والمصانع العملاقة ام لديهم اراضي ومشاريع زراعية تساعدهم على تصدير الانتاج الزراعي بعد الاكتفاء ام هناك ريادة وسيادة وقوة سياسية وعسكرية تفرضها على الآخرين لتقديم المساعدات لها خوفاً منها ورهبة، طبيعة الحال سوف يكون الجواب سلبيّاً، فإن غالبية الانظمة العربية والإسلامية لا حول لها ولا قوة، ولكونها تفتقد السيادة السياسية والقوة العسكرية والأراضي الخصبة -حتى ولو كانت فإنها لا تمتلك آلية استخدامها- وليس لديها أي مشروع سياحي فاعل - و ان كان البعض يعتمد على السياحة الدينية وهي قابلة للتلاعب - فاذا كانت هذه هي الصورة إذاً ما هو الحل؟

ان بعض الدول الإسلامية ومن جملتها إيران تطالب وتسعى إلى استخدام الطاقة النووية السلمية لتأمين احتياجاتها ومشاريعها التنموية المستقبليّة ولكل شعب حق بأن يمتلك السيادة على اراضيه ومصيره، اتخذت الجمهورية الإسلامية الإيرانية في هذا المجال خطوات ابتدائية وفقاً للقوانين الدولية وتحت اشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية وتطورت شيئاً فشيئاً، لكن الغرب كان يسخر من قرار إيران في طريق تخصيب اليورانيوم وينظر اليه كلعبة سياسية وشعارات فارغة ونظراً لأهمية هذا المشروع كان يعتقد بانها غير قادرة على تحقيق ما تريد لاحتياجه إلى طاقات طبيعية وفكرية وعلمية وامكانات وموارد متشعبة باعتبار أن إيران محاصرة منذ انتصار ثورتها الإسلامية وممنوع عليها ابسط الأمور الحياتية والمعيشيّة وكل هذه الضغوطات تنفذ على مرأى جميع الدول الإسلامية والغربية وقد عانت من حرب سنوات مفروضة ومؤامرات وانقلابات عسكرية واغتيال وتفجير وارهاب، ومحرّم عليها شراء منتوجاتها، وتحت مراقبة الاستخبارات الدوليّة العالمية «شرقاً وغرباً».

وان كانت دول الاستكبار قد تختلف في كثير من الامور فإنها متفقة على عدم السماح لأي دولة امتلاك الطاقة النووية بسهولة لأن انحصار استخدام الطاقة النووية بأيد معدودة هو المشروع الاستعماري المستقبلي والذي من خلاله سوف يتلاعب

الغرب بمصير الشعوب فالاستعمار سوف لا يكون عسكرياً ولا امنياً وثقافياً واعلامياً فحسب بل سوف يتخذ « الاستعمار الطاقوي » منهجاً جديداً وذلك عندما تنحصر الطاقة في الدول العظمى آنذاك ويشكل «النظام العالمي الجديد» في ظل انحصار الطاقة عندهم ويرسم وفقاً لارادة صاحب القرار في تصدير منتوجات الطاقة النووية، وسوف تتحكم هذه الدول بمصير الدول والشعوب كما حكم الاستعمار طيلة العقود السالفة بأساليبه المعروفة باعتبار أن النظام العالمي الجديد تسبقه ذهنية ارهاب الشعوب سابقاً، فلو كانت العدالة الاجتماعية في السابق شاملة للبشرية جمعاء وكان الاستعمار استعماراً بالمعنى الحقيقي للكلمة لما كان كل هذا التخوف من المستقبل، الذي سوف تتحكم فيه القوى الاستعمارية الاستكبارية. لكن التجربة اثبتت بأن هذه الدول عند ما تسيطر في جانب ما تطالب بتعميم سيطرتها في جميع شؤون الحياة وإلى يومنا هذا يلوحون ويطالبون بحذف آيات عديدة من القرآن لانها تسيء إلى قوم ظالمين، بل واساءوا إلى رسولنا وقرآننا وقيمنا، و غصبوا اراضينا واضاعوا التراث ونهبوا البلاد واستعبدوا العباد.

ان اصرار الغرب على محاربة إيران بكل الوسائل المشروعة حسب زعمهم وغير المشروعة مبني على عدم جواز تمتع الشعوب المستقلة بحقوقها الاّ بإذن الدول الغربية ذات القرار السياسي الاول، وايضاً فإن اصرار إيران على الاستمرار في هذه المسيرة هو في الواقع يستند إلى هذا المنطق بأن إيران الإسلام والشعوب بصحوتها الحالية سوف لن ترضخ من جديد ولن تسمح للاستعمار العالمي الحاكم ان يؤسس إلى استعمار مستقبلي يسيطر على العالم في الألفية التالية، وإن هذه الشعارات الرنانة والتي ترفع من على منبر مجلس الأمن والامم المتحدة، ماهي الاّ تأسيس لألفية ثالثة بتفوق استعماري طاقوي. فالاستكبار العالمي لايرغب بوجود دول مستقلة تنغّص عليه فرحة سيطرته المستقبلية على العالم، ويتهم كل من يواجه مشروعه التسلّطي بالارهاب، خشية مقاومته، ويسعى الى تضليل الشعوب وتخويفهم من عدو وهمي، واخفاء الوجه العدائي للاستكبار. يتهم دولاً كإيران بالارهاب وهي اكبر ضحية للارهاب الدولي والعالمي، لذلك فإن الأمة

الإسلامية سوف لا تتنازل بسهولة عن موقفها الداعم اتجاه إيران الإسلام وسيستمر الصراع والتجاذب بمختلف الأساليب اللامشروعة من الغرب:

١- اتهام إيران بالسعي لامتلاك الاسلحة النووية وهو محرم شرعاً في ديننا مع انهم يمتلكون الآلاف من الرؤوس النووية.

٢- تخويف الشعوب الإسلامية من إيران النووية السلمية بذريعة الآثار المدمّرة من الطاقة على المنطقة، فإذا كانت لها آثار سلبية كيف لا تؤثر على شعوب الغرب وأميركا مع هذا الحجم الهائل في مواد اليورانيوم المخصب الموجود لديهم؟!

٣- طلب ضمانات من إيران على عدم استخدام النووي السلمي في الجانب العسكري (و هل قدّم العالم الغربي ضمانات للمجتمع الدولي وخاصة بالنسبة للذين غزوا العالم الإسلامي فعلاً وفجروا القنبلة الذرية واستخدموا الاسلحة الفتاكة في القرن الماضي) .

٤- الحديث عن امبراطورية إيرانية في المنطقة بذريعة إسلامية، « فهل يعرف الغرب اين كان مبدأ انطلاق الرسالة المحمدّية ومن هم روّادها، ومن اين جاء الإسلام إلى إيران، فإن ظلم الامبراطوريات الغربية والشرقية يدعونا لنكون عالما إسلاميا متماسكاً».

٥- مشروع نسيان الكيان الصهيوني الغاصب وهوالذي يستمر بالقتل والهدم والتهجير من جهة وبناء المستوطنات وجذب قطعان الصهاينة واستحكام الدولة الصهيونية من جهة أخرى.

٦- خنق جميع الاصوات المطالبة بحقوقها واسكات كل الانظمة المعترضة لتسهيل تمدد سلطة الغرب في منطقتنا الإسلامية، وفي الحقيقة لوكانت الانظمة الحاكمة في بلادنا الإسلامية تستوحي موقعها ومكانتها وقدرتها من شعوبها لما حصل كل الذي ذكر بل ماكان لاحد ان يفكر بالاعتداء على حقوقها بالمنع والسلب ولأن المستكبر والطاغية يخاف القوي ولذلك أكد القرآن على امتلاك القوة « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة....» كي لايفكر العدو بالاعتداء علينا وليس القوة من اجل الاعتداء على الآخرين.

ثالثاً : نفوذ الصهاينة في مراكز القرار الدولية :

بمرور الزمن يكتشف العالم العربي والإسلامي اسباب بقاء الكيان الصهيوني واستقوائه في المنطقة واستعلائه فوق القوانين الدولية فهو مقدّم حتى على الانظمة الغربية الحاكمة والمتسلطة على رقاب الدول المستضعفة. ان التحقيقات الصادرة عن مراكز الدراسات العالمية تكشف عن مدى تغلغل الصهاينة في الغرب والقارة الأمريكية فقد قام الصهاينة الاوائل برسم استراتيجية استشرافية لعدّة قرون[٢٠] من اجل ايجاد موطئ قدم في هذا العالم ونظراً لأهمية دور الانظمة في كل زمان ومكان في تحقيق الاهداف إن كانت عادلة أم لا، وبطبيعة الحال فإن البشر يتبعُ اوامر القيادات الحاكمة[٢١]، وقد كانت اللبنة الأولى في هذه الاستراتيجية هي استلام زمام الامور من خلال الوضع الاقتصادي والإعلامي ولعب دور كبير في تعيين الرؤساء في الحكومات الغربية (اي الدول المتسلطة على العالم).

١- الصهاينة والاقتصاد:

ان المتتبع لمسيرة الصهاينة الاقتصادية في القرنين الأخيرين يلاحظ بوضوح ان هذه العصابة استطاعت السيطرة على اكبر الشركات المنتجة في مختلف دول العالم خاصة في الغرب بحيث أصبحت منتوجاتها تغزو العالم الإسلامي برمته ولا مناص من استهلاك منتوجاتهم واكتساء ملبوساتهم واكل اطعمتهم وانتهال مشروباتهم . لقد استطاع هؤلاء بشركاتهم الهرقلّية ومدنهم الصناعية ان يضغطوا على اقتصاد الدول الغربية ويؤثروا على حكامها.[٢٢] ويفرضوا عليهم مطالبهم من خلال اتخاذ القرارات السياسية لصالح الكيان الصهيوني في مختلف شُعب حياته السياسية والاقتصادية والامنية.

٢- الصهاينة والإعلام:

ان الصهاينة لهم دور تاريخي كبير في مجال الإعلام « الذين يحرفون الكلم عن مواضعه » خاصة لو توسع المعنى ليشمل حركة المبشرين والمستشرقين الذين دخلوا إلى

بلاد الإسلام وأكثروا فيها الفساد واسّسوا لتثبيت تاريخ مزيّف واصّلوا لقواعد علمية واستنتاجات مذهبية وطائفية لاتمت إلى الحقيقة بصلة، وبمجرد مراجعة بسيطة إلى مؤلفاتهم الكثيرة نكتشف حقيقة هؤلاء بسهولة يسيرة . وحتى الإعلام بمعناه الخاص في عالمنا المعاصر في عمومه الغالب اما صهيوني واما متأثر بشكل أو بآخر بالإعلام الصهيوني والشركات الإعلامية الصهيونية والايادي الصهيوصليبية هي التي تتحكم باعلام دول الشمال قاطبة، وهذا الإعلام لا يتوقف على دولة غربية دون أخرى وايضاً غير متوقف على الصحف أو المجلات والاذاعات والمحطات الفضائية للتلفزة والمواقع الالكترونية و.... بل يستخدم الكنائس والمؤتمرات المحلية والدولية والايادي الغافلة أو العميلة ويبذل ميزانية هائلة من اجل استمرارية ودعم نهجهم الصهيوصليبي في كافة بقاع الارض(٢٣).

٣- الصهاينة والحكم:

هل بقي خبير في عالم السياسة لا يعرف دور اللوبي الصهيوني في دعم المرشحين للوصول إلى سدّة الحكم أو البرلمان سواء في أميركا أو في اغلب الدول الغربية، بل تمادى ليصل هذا الدعم إلى بعض الدول الشرقية ايضاً، وأخذ المرشحون في الغرب وخاصة في أميركا يتسابقون على جلب رضاية اللوبي الصهيوني، ويقدّم التعهدات والتنازلات قبل الانتخابات ووصل الحال إلى مرحلة بحيث يطالب المرشحون لقاء رؤساء وزراء صهاينة والطرف الآخر لايقبل الا ان تقدّم له ضمانات مسبقة والمرشحون الذين وصلوا إلى سدّة الرئاسة في امريكا اعلنوا بوضوح وصراحة ان الكيان الصهيوني خط احمر واستراتيجية أمريكية لا يمكن التخلي عنها بأي وجه من الوجوه وقد تبنوا عملاً هذه الاستراتيجية، ولا نشاهد صدور أي قرار دولي أو نشاطا أمريكياً يزعج الكيان الصهيوني من قبل أي رئيس أمريكي ومايقال احياناً على لسان بعض الرؤساء لترطيب الاجواء واخضاع العرب، سرعان ما يتبدّد بوقاحة واستكبار وماحيلة الضعيف الا القبول أو الانقياد، فتارة يقاد إلى مدريد وأخرى إلى اوسلو وشرم

الشيخ وانابوليس واخيراً وليس آخراً إلى واشنطن للموافقة على مشروع المصالحة والقبول بالدولة اليهودية ولايحق لحاكم عربي ان ينطق ببنت شفة بل هو اقل من الحمل الذي يبعبع حين تقطع رأسه.(٢٤)

ان المفاوضات من يوم تأسيس الكيان الصهيوني لم تقدّم أي أمر إيجابي على الساحة السياسية والاجتماعية للفلسطينيين وما حصل من انتصار على الساحة الفلسطينية فهو من ثمار المقاومة الشريفة للشعب الفلسطيني، لأن المفاوض لابد أن يفاوض على ورقة موجودة في يده ولا يمكن التفاوض على حساب الآخرين والمفاوض العربي يتفاوض على حساب المقاومة ولا غير وبما أنه لايملك شيئاً كي يعطيه، فيبقى ضعيفاً، متوسلاً متذللاً، مستجدياً في جميع المفاوضات وكلما تظاهر بالانزعاج والزعل، أقتيد مرة أخرى إلى مسلخ المفاوضات رغم أنفه .

و تبقى المقاومة هي الحل الوحيد اذا كانت منسجمة ومدروسة ومدعومة بالدول الإسلامية والعربية تتحرك وفقاً لاستراتيجية حكيمة بعيدة عن الانجرار إلى الصراعات الداخلية والتي قد تؤدي إلى التفرقة والشقاق واذهاب هيبة المقاومة وريحها وشوكتها .

رابعاً : فقدان الانسجام فيما بين الدول الإسلامية أو العربية :

فقدان الانسجام فيما بين الانظمة الإسلامية والعربية الحاكمة يزيد الطين بلّة في مسيرة استرجاع الحقوق أو الدفاع عن متطلبات الأمة الإسلامية. ان سياسة بريطانيا القديمة «فرّق تسد» والتي هي سياسة مؤثرة سلبياً على مدى التاريخ(٢٥) وقدتتجلى على الساحة الإسلامية بأساليب مختلفة وعدم اتفاق الانظمة على القضايا الاستراتيجية هي من اهم هذه التجليات.

لقد سعى العالم الإسلامي لايجاد منظمة المؤتمر الإسلامي من أجل حل القضايا الإسلامية، ولكن هذه المنظمة لم يكتب لها التوفيق الاّ في قضايا جزئية كالدعم المالي لبعض الدول والمساعدات الإنسانية الأخرى وامثالها، فإن هذه المنظمة مع ما لها من ثقل لم تقدم أبسط الامور لأهم قضية في العالم الإسلامي وهي القضية الفلسطينية، وما

تفرع عنها من لجنة لحماية القدس استخدم لصالح الصهاينة بدلاً من فلسطين، دع عنك فشلها في ايقاف الحروب الدامية التي حصلت بين الدول الإسلامية وعليها في مشرق الإسلام ومغربه وشماله وجنوبه فهي غير قادرة حتى على تقديم النصح احياناً، فكيف بأداء الدور الملزم، وقائمة العجز واضحة ومكشوفة للجميع، مع أنه قد يفسح المجال لمنظمات دولية تابعة لقوى الاستكبار للتدخل واصدار القرارات الظالمة ضد الدولة الإسلامية، وقلّ ما نشاهد قراراً خدم دولة عربية أو إسلامية الاّ اذا كان هذا القرار يتطابق نوعاً ما مع مصالح الدول الكبرى .

اذا كان هذا هوحال منظمة المؤتمر الإسلامي فماذا نقول عن اتحاد الدول العربية أو المناطقية الأخرى، وقد كانت بعض الاجتماعات حلبةً لصراع الدول العربية ومجالاً لتصفية الحسابات فيما بينهم، وفي الواقع ان هذه الاتحادات في عالمنا العربي والإسلامي اصبحت موضة للاستعراض، ومع الاسف من نوعه السلبي لا الايجابي.

والسبب في ضعف فاعلية هذه الاتحادات واضح لأنها لا تقوم على قرار مؤسساتي أو شعبي بل هي قائمة بعيداً عن أي انتخابات حرّة، وتستمد قوتها بقبائل وعصابات واحزاب مستبدة حاكمة لاغير. ولدينا زعماء يحكمون لفترات تفوق ملوك العالم كله، وسوف يدخلون في موسوعة غينز الدولي، عندما يتحول الشخص إلى قانون، وعندما نؤمن بحكومة القانون فكلماته قانون وأي تعارض بين افكار الحكام سوف يتحول إلى قوانين متعارضة تؤلب اتباعها وتحثهم على القتال والدفاع عن القوانين أي عن الافراد والحكام، وهذا ينافي الطبع الإنساني المؤكد لاختلاف العقول والافكار والطاقات ويحكم القانون الناتج عن هذه العقول المتفاوتة خاصة اذا كان مدعوماً بالوحي الالهي.

خامساً : عداوات طائفية وعصبية مصطنعة :

لقد شاهد العالم الإسلامي الآثار المخربة للعداوات الطائفية المصطنعة، والتي هي بعيدة كل البعد عن روح الإسلام الاصيل، الذي يدعو إلى اقامة امة واحدة مع كل اختلافاتها الطبيعية في مسيرة الفكر والعقيدة والسلوك، وعند الرجوع إلى جذور

الخلافات التي ادّت إلى اراقة الدماء وقتل الابرياء وشن الحروب وتجميد العلاقات الإسلامية وتهجير الملايين من بلدانهم وزرع الحقد والعداوة فيما بين أبناء الأمة الإسلامية يكتشف الإنسان ان يد السياسة السلطوية منذ العهد الاموي والعباسي إلى يومنا هذا استغلت الاختلافات المذهبية، والتي هي نتاج طبيعي لاجتهادات مقبولة، أوغير مقبولة وحولتها إلى عنصر يخدم سلطتها في قديم الزمان، وفي الزمن المعاصر فان الاستعمار هو المستفيد الوحيد من هذه الخلافات التي قدّمت كل ثرواتنا الإنسانية والطبيعية على طبق من ذهب للقوى الاستعمارية ليكون العالم الإسلامي في وضعه المتردي الحالي في مختلف شؤونه.

ان اعظم خلاف حصل في صدر الإسلام بعد ارتحال الرسول الاعظم(ص)هو امر الخلافة، ولم نقرأ في تأريخ الإسلام ان الامام علي (ع) سلّ سيفاً بوجه الخلفاء الأوائل من أجل الحكم ووقف امام المسيرة الإسلامية الموحدة التي سادت بقاعاً كبيرةً من الكرة الارضية آنذاك، مع انه لم يتنازل عن حقه ولو للحظة واحدة وجاهد بكل الطرق السليمة والشرعية المتعارفة آنذاك لاسترجاع الحق المسلوب وفقاً لاعتقاده بالوصاية والولاية وانها أمر الهي وانها حق وضعه الله لخاصة أوليائه . ولكنه يختار طريق الحفاظ على وحدة الأمة الإسلامية ومساندة عظمتها وشوكتها لكي لا تسقط الحكومة الإسلامية بكاملها وتتولى القوى الكافرة الأمر ولا يبقى أثرٌ للرسالة المحمدية السماوية، وقف مسانداً وداعماً ومشاوراً ومرشداً للخلفاء ولمدة ربع قرن والشواهد التأريخية الدالة واضحة المعالم في هذه القضية كوضوح الشمس في رابعة النهار، ومع كل ما نشاهد في التاريخ من تهافت في نقل الحوادث والوقائع يكفينا أن نتصفح كتاب نهج البلاغة وخطب الامام علي (ع) وكتبه ورسائله ونصائحه وسائر المستندات التاريخية للكشف عن حقيقة كثير من الامور، وعندما تصدى الامام علي (ع) للخلافة بإلحاح وطَلَب من الناس، حاول تجنب الحروب الداخلية وتطبيق العدالة الإنسانية والشريعة الإسلامية واحياء سنة الرسول وتفسير آيات القرآن ورسم الخطوط العريضة للحكم الإسلامي الخالد، لكن الوقائع آنذاك وخاصة الحكم الاموي من جهة وجهل المجتمع بالحقائق

الإسلامية حاصر مسيرته وفرض عليه حروباً داخلية كان المجتمع الإسلامي في غنى عنها لو كانت العقول تصغي لكلام الامام (ع)و القلوب تخضع لحكم الله وسنة رسوله، لذلك يقتضي الانصاف منا ان ننظر إلى ما جرى في الماضي بواقعية وتحقيق وقد ذكر علماؤنا ومؤرخونا الكثير لبيان الحال وعلى سبيل المثال قد ذكر المرحوم الشيخ الغزالي أنه قال لصديقه الذي كان يحدثه عن التاريخ الإسلامي:« اسمع يا أخي ان الامويين والعباسيين والعثمانيين لم يقدّموا لنا صورة صادقة للخلافة الإسلامية»[٢٦] و قد بات واضحاً أن الخلافة تحولت إلى وراثة ما بعد عهد الخلفاء الراشدين .

و لسنا هنا في مقام سرد التأريخ ولكن للتأكيد على ما هو موضوع اليوم في تعامل أبناء المذاهب الإسلامية فيما بينهم في كيفية النهوض على حفظ الإسلام وامته بعيداً عن اطماع الاستعمار الغربي وعدم تضخيم الخلافات المذهبية والتأكيد على الرجوع إلى المشتركات الإسلامية العامة وعدم الوقوع في مصيدة الانحرافات التي اوجدها سلوك بعض الجماعات وافراد تدعي الإسلام وفقاً لفهم خاطئ أو مغرض اضلوا العباد وخربوا البلاد واصبحوا طعمة للقوى الاستبدادية الحاكمة والاستعمارية الغازية، وكما اشرنا فإن دور الحكومات المستبدة في تنمية الخلافات الطائفية والمذهبية لا يقبل الانكار ويمكن الاشارة إلى اهم عناصر الخلافات بين المذاهب منها:

١- النظرة القدسية لنظام الخلافة .

٢- تعميم الخلافات المذهبية .

٣- التشبث بالنصوص الغير القطعية لدى العموم.

٤- عدم الانفتاح على الآخر .

٥- الانشغال عن عظائم الامور .

نشير هنا ايضاً إلى قول الشيخ الغزالي المؤكد على : أن المتفق عليه كثير جدا والتشبث به وحده كاف للنجاة ..... ولكن جماهير من الدهماء والأذكياء شغلتها للأسف الخلافات العارضة، ولم تحسن استثمار ما انعقد عليه الاجماع، وكادت تضيع الإسلام ذاته.... ويرى الشيخ الغزالي ان حالة التعصب لم تكن قائمة بين الفقهاء والمجتهدين على

مرّ العصور، فهم وإن اختلفت آراؤهم، يحترم بعضهم بعضاً، ويحترم حريته في مخالفته وقد رأينا مالك بن أنس يرفض حمل الناس على مذهبه في كتاب الموطأ ويقول : «إن اصحاب رسول الله (ص) تفرقوا في الاعصار وقد يكون لديهم ما فاته ..... »(٢٧)

فهل بإمكان مجتمع بهذه الثقافة والرؤية التسامحية الواسعة ان يصل إلى عداوات بغيضة ومقيتة تسبب قتل الابرياء من النساء والشيوخ والاطفال في الشوارع والأزقة والأسواق، وفي الحقيقة ان ما يحصل هو نتيجة التعصب الأعمى الذي يُصم ويُبكم ويُوقف التعقل ويحجب الإنسان عن اعمال الفكر ويسلب منه قدرة التبصر في اختيار الموقف السليم، فإن التعصب موقف غير عقلاني، ومناقض للعقلانية، وينتهك القيم العقلانية ومعاييرها، لانه موقف لايستند على قوة البرهان، ومنطق الاستدلال، وليس من غايته البحث عن الحقيقة واكتشافها والتمسك بها، حتى لو كانت عند طرف آخر مغاير، ولأنه موقف يتسم بالتوتر والانفعال النفسي والذهني، ويغلب عليه منطق الغلبة والاحتجاج.

والتعصب لايهدي الإنسان إلى سواء السبيل لأنه يغلق منافذ المعرفة والوصول إلى علوم الآخرين ومعارفهم، واكتساب الحكمة أنى كان مصدرها ومنبعها ويجعل الإنسان لايستمع القول ليتبع أحسنه كما في قوله تعالى « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه....» والتعصب يحمل الإنسان على قول واحد ينجر اليه بشدّة ويدافع عنه بغلظة، ولا يقبل الاستماع إلى قول آخر ينازعه، أو يتفاضل عليه ..... وفي هذه الحالة ترى الإنسان يحمل ضعفه وعيوبه، وتبقى معه نواقصه وثغراته إلى أن تتفشى وتتراكم وتصل إلى وضع تتكشف فيه بشكل خطير.(٢٨)

الإنسان المؤمن المتصف بسعة الصدر وروح التسامح وشمولية الرؤية وحاكمية العقل واتباع الوحي وسيرة العلماء ومسيرة الاصلاح، لايسمح للتعصب أن يتخذ من قلبه وعقله ملجأ يطيح بحياته ويسقط مجتمعه مهما اختلفت الآراء وتنوع السلوك ما دامت هناك ثوابت وقواسم مشتركه حاكمة فيما بينه وبين أبناء أمته والبشرية « الناس صنفان اما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق».

فالمذاهب المصطنعة والعصبية العارضة ليست من ذاتيات الإنسان ويمكن التغلب عليها بالحكمة والموعظة الحسنة.

وهناك تحديات خطيرة اشرنا اليها في مقدمة المقال قد تطرق اليها علماء وباحثون وهي بحاجة إلى دراسة وتدقيق وامعان نظر من اجل إتخاذ المواقف السليمة إزاءها أو التغلب عليها، ولايسعنا المجال هنا للدخول في تفاصيلها كالحديث عن سعي وجهود واسعة لاشغال العالم الإسلامي بعداوات وهمية، وتقديم صورة الصديق في اطار العدو والعكس ايضاً لتضليل الأمة وتسهيل سبل نهب الثروات واحكام السيطرة والغلبة عليهم، ان فرض الدولة اليهودية ونسيان مقاومة الشعب الفلسطيني في ظل اتفاقيات لاتساوي قيمة الحبر الذي كتبت به وعدم الاهتمام بملايين المهجرين من الشعب الفلسطيني في الشتات وبناء المستوطنات اليهودية على ارض الإسلام وتجاهل الدعوات الكاذبة والداعية إلى وقفه واستمرار الضغوط على اهل المقاومة وشعبها وبذل الجهد المتواصل غربياً وعربياً لجرّهم إلى طاولة الذل والرذيلة و.... تعد من التحديات التي فضحت الكثير من حكومات العرب اولاً ودعاة الديمقراطية وحماة حقوق الإنسان ثانياً والسلطات السياسية الغربية الغازية للبلاد الإسلامية ثالثاً. ومن ابرز التحديات المعاصرة على مستوى المفاهيم والتطبيق، عدم تقديم تعريف متفق عليه وواضح بالنسبة لكثير من المصطلحات والمفاهيم المتداولة في الساحة الفكرية والدينية والسياسية كالمواطنة، المقاومة، الارهاب، العلمانية، الديمقراطية، الأصولية والاعتدال، التطرف، التكفير، الافتاء،.... ما هي حدود هذه المفاهيم؟ ومن هم دعاتها والقائمون عليها ومن يغذيهم فكرياً ويدعمهم مادّياً؟ ومن المسؤول عنها وعنهم؟ و.... وكثير من الاسئلة حول المفاهيم ومصاديقها في مختلف المجالات الحياتية، وأظن أن العلة ترجع إلى عدم تبيين الموازين المتقنة لتكون مقياساً على المستوى النظري والعملي وان اتفقنا على مفهوم مصطلح فإن المصداق يصعب على الجميع تعيينه لأن الاسباب الداعية والاهداف المرمية تختلف لدى الاحزاب السياسية والشخصيات الفكرية، وقد يكون هذا التحدّي من اصعب ما تواجهه البشرية اليوم للدفاع عن حقوق الإنسان وكرامته وبسط العدالة .

وسائر التحديات المذكورة تحتاج إلى تدبر في المضمون وتعاون في الاقدام لايقاف الهجمات الفكرية والثقافية ومنع الغزوات الصليبية المعاصرة وردم الهوة المفتعلة في اوساط المجتمع الإسلامي واحكام البنيان الإسلامي من اجل سعادة الإنسان واحلال الامن والسلام ورفع كلمة الرحمن .

و آخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

الهوامش:

١ - الانعام/ ١٥٩ .

٢ - الروم/ ٣١- ٣٢ .

٣ - هود/ ١١٨ .

٤ - مقولة مشهورة تنسب إلى آية الله الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء .

٥ - غوستاو لوبون حضارة العرب (مقالة عبدالرحيم السائح)

٦ - تصريحات البابا بنديكت السادس عشر والقس الأمريكي تري جونز والقبطي الانبابيشوي نموذجاً

٧ - تصريحات جورج دبليو بوش بعد واقعة الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١

٨ - التوبة/ ٣٢.

٩ - رسالة التقريب ٧٢ / ١٣٥

١٠ - البقرة/ ٢٥٦ .

١١ - النساء/ ٨٦ .

١٢ - النساء/ ٢٩ - ٣٠.

١٣ - الشورى / ٤٠.

١٤ - النحل/ ١٢٥ .

١٥ - النساء/ ١٢٤.

١٦ - الامام علي(ع) : ...لَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرّاً...(نهج البلاغة، رسالة ٣١، ص ٨٣٨).

١٧ - ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (اسراء١٧/٧٠).

١٨ - ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ (٤نساء/١٤١).

١٩ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾ (٤نساء/٩٧).

٢٠ -انظر : الصهيونية الاقتصادية ـ فضل النقيب ـ مركز الغد العربي / ٢٠٠٨.

٢١ -الحديث النبوي : الناس على دين ملوكهم.

٢٢ -انظر : جوناثان نيتسان وشمشون بتشلر، الاقتصاد السياسي لإسرائيل.

٢٣ - ومبدئيا فان الإعلام السليم امر مرغوب فيه إنسانياً وإسلامياً....

٢٤ -راجع: البروتوكولات اليهودية والصهيونية ـ عبدالوهاب المسيري دارالشرق، القاهرة / ٢٠٠٣.

٢٥ - ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (قصص٢٨/٤).

٢٦ - دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين دار الشروق، القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٧ م ـ ص ١٠.

٢٧ - مقال الدكتور محمد علي آذرشب تحت عنوان (الابتلاء باتجاهات الجمود والتخلف الفكري).

٢٨ - مقالة الاستاذ زكي الميلاد « في مواجهة الخطر التعصب والتعصب الديني» .